دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

نشأة وانهيار النّظم الحضاريّة
محاولة في الفّهم

د. محمد البشير رازقي
أستاذ مساعد في التاريخ
المعهد العالي للعلوم الإنسانية
جامعة جندوبة – الجمهورية التونسية

مُلَخّص

سعينا في هذا البحث إلى تفهّم الأسس الحيويّة لنشأة وانهيار النظم الحضاريّة مع محاولة تقديم نموذج أصيل وطريف بدون السقوط في تكرار ما قيل سابقًا . وقد راهن المقال على مسألة تأسيس براديغم للفهم يكون قابلاً للتطوير أوّلا ولمناقشته ثانيًا . وقد تبيّن لنا أنّ النظم المعرفيّة تعتمد أساسًا على سيرورة نشأة النظم الحضاريّة بموقع جغرافي متميز ومحاط بمنافسين أقوياء ووجود عوائق تجبر الفاعلين على ابتكار حلول لتوحيد الداخل ودفع أطماع الخارج. تحتاج الحضارة لمُعطى الثقة المتبادلة بين الدولة وأعوانها وبين الدولة والسكان وبين السكان وأعوان الدولة . تتكفّل في هذا السياق الأيدولوجيا بتوحيد الداخل وتشكيل الهوية الجماعية ووصم الخارج لشرعنة حيازة الأرباح الخارجية . يتوحّد الصف الداخلي عبر تحييد المنافسين مع الحفاظ على وجودهم للإبقاء على متغير المنافسة والابتكار. ثم تُشكّل صورة العدو خارجي لتشكيل الهويّة أولاً وبالتالي اكتساب حقّ الوجود . تُحافظ هذه المنظومة على متانتها في ظلّ وجود منافسة وتوازن قوى داخليّ وخارجيّ، إذا فإنّ وجود حضارة أخرى قوية ضروري لبقاء قوة الحضارة الفتيّة ذاتها ومرتكز أساسي وحيويّ لها . بالمقابل، فإنّ توازن القوى (داخليًا وخارجيًا) يحتاج لمتغيّر الأزمة ليحافظ على نضارته، وكلّما ازدادت أهميّة الموقع/ الموضع الجغرافيّ كلّما ازداد التنافس.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٣ أكتوبر ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ٠٢ نوفمبر ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

النظم الحضاريّة؛ براديغم؛ منهج البحث التاريخي؛ تاريخ الحضارات؛ التاريخ المقارن

معرّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.252567

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد البشير رازقي. "نشأة وانهيار النظم الحضاريّة: محاولة في الفّهم".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الثاني والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٣. ص ٩١ – ١٠٤.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: rezgui.medd@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دّورية كَان التّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدّمَةٌ

حرص عدد كبير من الباحثين على دراسة مفهوم "الحضارة" تاريخيًا، ولغة، وراهنا ورهانات. لم تُجمع الدراسات على تقديم سيرورة واحدة لنشأة الحضارات أو انهيارها، حيث قُدّمت أسباب عديدة جغرافيّة وسياسيّة واقتصاديّة ومناخيّة إلخ. سوف نسعى في هذا البحث إلى محاولة تقديم خُطاطة بسيطة وأوليّة لأسباب نشأة ورسوخ أو تقلّص النّظم الحضاريّة. وقد ارتكز هذا البحث على هواجس منهجيّة أساسيّة أهمّها تجنّب الفكر الخطّي والثنائي[١]، مراهنا على "الفكر الشبكي" وتجنّب الفكر الثنائي من أجل فهم التحوّلات والمراهنة على فهم المناطق الرمادية[٢]، وتبيّن أهمية تعدّد الأفكار المتناقضة والمستفزّة[٣]، ودور الفاعلين الاجتماعيين ورهاناتهم.

تتخلّل هذا البحث إشكاليّة أساسيّة وهي: ما هي المرتكزات الأساسيّة المشكّلة للنظم الحضاريّة؟

أولاً: أسس تشكّل النّظم الحضاريّة

تعتمد الحضارات على "التعقيد" ومفهوم "الأنظمة المعقّدة" لما له من أهميّة في نشأتها وتواصلها مثل الاقتصاد المعقّد الذي يعتمد على "تكديس الأرباح وتعزيزها"، و"التخطيط الاقتصادي وإدارة الطلب"، و"التنظيم"، و"التكيّف المستمرّ والتكوين المستمرّ لمنافذ أسواق جديدة"، إلى جانب دور الحروب في صعود "المؤسسات المعقّدة" وانحدارها. ويتضرّر تعقّد الأنظمة من الفساد داخل الدولة أو الحضارة، وأحيانا يستفيد الفساد نفسه من هذا التعقيد ليتغلّغل ويتوارى. كما تصبح الحروب والأزمات في ظل تعقّد النظم أمرًا خطيرًا يمكن أن يسبّب انهيار الحضارة. وقد طُرحت ستة أسباب ساهمت في سيطرة الحضارة الغربيّة بالتشابك مع مفهوم التعقّد: أوّلاً المنافسة حيث ساعد انقسام أوروبا إلى دول عديدة على هذا الأمر. ثانيًا الثورة العلميّة. ثالثًا: حكم القانون وخاصةً مفهوم الحكومة التمثيليّة. رابعًا: الطبّ الحديث، خامسًا: المجتمع الاستهلاكي، سادسًا: أخلاقيّات العمل حيث جمع الغرب بين العمل المكثّف ونسبة الادخار العالية مما أسّس لمراكمة مستمرّة لرأس المال[٤].

وقد راهن جاك غودي Jack Goody على فكر "الشبكة" لفهم سيرورة الحضارة، فالتقسيم الثنائي "لا يسمح بالتعددية والتناقض" والتنوّع[٥]. وقد حاول غودي أن يبيّن أن حضارات كثيرة لا تقلّ شأنا عن الحضارة الغربيّة وتحوّل الأمر مع بروز الاقتصاد والثورة الصناعيّة وما نتج عن ذلك من تطوّر تفني وعسكري وحاجة لمؤسسة الاستعمار. كما أكد غودي على أهمية مؤسسة "المدينة" في التطوّر الحضاري فقد كانت دائما "مراكز التجديد" و"مسرحا لحرب اجتماعية بقسوة لا تعرف الرحمة"، وقد كانت المدينة هي رحم التجارة والخالقة لها والمدعّم الأول للممارسات الفنية والإبداعية[٦].

من ناحية أخرى، بيّن نوربرت إلياس Norbert Elias أن سيرورة التحضّر في أوروبا كانت نتيجة الصراع بين الأرستقراطية والبرجوازية، وتشابك ذلك مع تعاظم دور مؤسسة الدولة المركزية ونزوع الإنسان للتهدئة والسلم الاجتماعي الداخلي مع عقلنة الإدارة، مع زيادة كبير في الحروب بين الدول. تفاعلت إذا مؤسسة الدولة مع المجتمع مع الأفراد مما نتج عنه سيرورة التحضر[٧]. فمن المهمّ لنشأة حضارة أن يحصل صراع بين أفكار محلية وأفكار مستوردة، وأن يحصل جدال وتشاحن بين الأفكار المتنوّعة للداخل، ثم نقاش وجدال بين أفكار الداخل والخارج. فمن الحيوي أن تُشكّل "شبكة" من الأفكار ذات المصالح المتدافعة والمتنافسة مع شبكة أو شبكات أفكار أخرى ذات رهانات والغاية وقوع التنافس والتدافع والابتكار والمناورة[٨]، فينبعث إذا الإبداع من التعارض،[٩] خاصّة وأنّ توازن القوى يُعدّ "سياسة، وقانونًا تاريخيًا ومبدأ ونظامًا"[١٠]. كذلك من المهمّ أن يوجد تيّار محافظ في الحضارة ليحصل الإبداع من دون أن يكون ذلك التيّار المحافظ ماسكا تماما وبصفة مطلقة بمقاليد السلطة والسيطرة[١١]. وهذا ما يُسمّى "التنافس الهيكلي"، فلا يظهر كل مبدع على حدة "فالمواقف التنافسيّة تنمو بشكل متزامن مع بعضها البعض"[١٢].

يراهن هذا البحث على أهميّة وإجباريّة تواجد متغيّر توازن القوى الداخلي والخارجيّ في نشأة النظم الحضاريّة. استفادت أوروبا من ثنائيّة الدّولة ورأس المال، وقد نشأت هذه الثنائيّة نتيجة الصراع الاجتماعي بين الحضارات الأوروبية، والفايكنج، والإسلامية، والبيزنطية، والأمريكية الأصلية، والمنغولية. شكل هذا الصراع مؤسسات الدولة والطبقة الرأسمالية في نهاية العصور الوسطى. علاوة على ذلك، أدّت هذه التطورات مباشرة إلى الإصلاح والنهضة. ومع الانفجار البحري الذي حدث خلال عصر الاستكشاف، اصطدمت أوروبا بحضارات الأميركتين مما أدى إلى خلق الموجة الكبرى الثانية من التطور الرأسمالي، مع الاعتماد الأساسي على الآلة الحربيّة لترسيخ صعود الحضارة الغربية[١٣]. استفادت إذا أوروبا من موقعها الجغرافي بين فضاءات حضاريّة عديدة متنافسة، وهذا ما يؤكّد على ترابط الجغرافيا السياسية والاقتصاد والحرب والتطوّر الحضاري. لقد وفّر الانقسام السياسي أو التنافس بين الدول في الغرب بيئة أكثر ملاءمة لإنشاء حقوق ملكية حكومية وخاصة، وحرية اقتصادية ورأسمالية. ولهذا السبب استطاع الغرب أن يتفوق على الحضارات الآسيوية العظيمة ويزدهر. كما أن التكامل الأوروبي أدى إلى تقليص خطر الحرب في أوروبا. بالمقابل فإنّ انخفاض معدلات الخصوبة والهجرة الجماعية قد يؤدي إلى تقويض الأساس المؤسسي للرخاء والاستقرار السياسي على مستوى الأمد البعيد[١٤].

تعتمد النظم الحضاريّة الفتيّة على "ميزة التخلّف" حيث طرح باحثون آخرون فرضيّة أنّ انهيار الإمبراطوريات العريقة يُنتج خمسة نتائج لو اجتمعت تؤسّس لنشأة إمبراطوريات فتيّة، وهي: توليد عدم استقرار إقليمي في الإمبراطورية السابقة، ونخب ثورية محبطة تميل إلى الأجندات الإمبراطورية، وإيديولوجية إمبريالية قوية، وأساس منطقي أيديولوجي لإعادة الإمبريالية، وقدرة الدولة الكافية لجعل إعادة البناء ممكنة أي توفّر مؤسّسات وأعوان دولة قادرين وأكفّاء[١٥]. وتستفيد الحضارات الناشئة من "ميزة التخلّف" والعيش ضمن الأطراف في الأطراف الحضريّة وليس ضمنها[١٦]. ويُعنى بميزة التخلّف هي الاستفادة من كل المنجزات المعرفيّة المُنتجة من طرف حضارات أخرى وفهم الأخطاء والفوائد مع وجود هامش تطوّر كبير، هذا إلى جانب إمكانيّة الاستفادة من المنافسة الدوليّة على مجالات النفوذ سواء ثنائيّة أو متعدّدة الأقطاب. ومن الأدلّة على "مزايا التخلّف"[١٧]، هو الأجر المتدنّي للعامل الصيني الذي جلب مُجمل استثمارات العالم إلى الصّين.

تستفيد النظم الحضاريّة من ثرواتها الداخليّة والخارجيّة، ويساهم متغيّر المنافسة مع بقيّة القوى الخارجيّة في حثّ الإمبراطورية على ابتكار أساليب للتميّز سواء تقنيّة أو عسكريّة أو السعي لكسب الولاء. بالمقابل تسعى الإمبراطورية/ الدولة لتحصين الدّاخل والمحافظة على وحدتها الاجتماعيّة والسلم الأهلي عبر إصلاحات اجتماعيّة وسياسيّة وقانونيّة والاقتصاديّة[١٨]. تتحرّك إذا رهانات الفاعلين المؤثّرين في الداخل بالتفاعل والتشابك والتدافع مع سياقات فاعلين الخارج. تسعى الإمبراطورية أساسًا إلى حيازة المنافع الاقتصاديّة، وتُشرعن ذلك بمدوّنة قانونيّة متينة، وهذا ما يؤسس خطاب الإمبراطورية. يسعى التشريع القانوني لحماية الإمبراطورية في جبهتها الداخليّة وتأمين مصالحها ومصالح أعوانها الاقتصاديّة في الداخل والخارج. وهذا ما يؤسّس لثلاثيّة: الإمبراطورية والقانون والنموّ الاقتصادي[١٩].

وقد بيّن لنا تاريخ الحضارات أهميّة توفّر أسس حيويّة لنشأة النظم السياسيّة الصلبة مثل دور المدينة الحيوي في تشكيل الفضاءات والأطر المعرفيّة[٢٠]، وتوفّر أسس "الاقتصاد العضوي"، وهي الثروة الحيوانيّة والنباتيّة، والاقتصاد غير العضوي، مثل الفحم وبقية أشكال الطاقة المصنّعة[٢١]. وتساهم الإصلاحات الجبائيّة وتوفّر البنية التحتيّة التجاريّة (طرقات، تناقل معلومات، وسائل نقل...) والعدل بين المتنافسين الاقتصاديّين ومحاولة الدولة المحافظة على قيمة العملة وتوفير توازن بين معدّل الأجور والسلع المتوفّرة ومداخيل والمصاريف (التصدير والتوريد...)[٢٢]. ويُوفّر النموّ الاقتصادي وتوسّع التجارة نشأة تحالفات جديدة داخليّة وخارجيّة، ونشأة مؤسسات جديدة. وفي هذا السياق، تسعى الحضارة إلى السيطرة على مرتكزات القوّة

الأساسيّة وهي ملكية الأرض، وملكيّة رأس المال ووسائل الإنتاج، وتأسيس جهاز إيديولوجي متين للتحكّم في مسائل النسب والقرابة والمكانة الاجتماعية والمناصب المؤثّرة مثل الفقهاء والمفتين وأعوان الدولة سياسيّين وعسكريّين. يتخلّل بناء الحضارات تقنيات عديدة مثل سعي الفاعلين إلى صناعة النقيض لما هو سائد أي صناعة هوية مغايرة، ويتكفّل الجهاز الإيديولوجي للحضارة بذلك. تساهم هذه التقنية في تعيين، وابتكار إن لزم الأمر، أعداء مختلفة مصالحهم مع مصالح الحضارة الصاعدة وهذا ما يؤسّس لشرعيّة الوجود، وشرعيّة الحرب مع الآخر، وتوحيد الصفّ الدّاخلي. ولهذا نطرح في هذا المقال فرضيّة أساسيّة وهي أنّ الحضارة لا تترسّخ إلاّ بعد صناعة عدوّ ووصمه وتشكيل صور نمطيّة حوله، وهذا ما يساهم في بناء الهويّة الجماعيّة. ويتشابك مع هذا السّعي تقنية بناء الذّاكرة وابتكار سرديّات للتأسيس. تقع الصدامات الكبرى في المقام الأوّل داخل الحضارات أي بين الفاعلين المؤثّرين والمتنفّذين في الحضارة نفسها، لا بين الحضارات الكبرى. إذا المواجهة الأولى هي محليّة سعيا لاحتكار السلطة ومنابع النفوذ وتحصينا للجبهة الداخليّة. وهذا الذي حصل في الفترة التأسيسية للإسلام[٢٣]. بالمقابل تساهم الصراعات مع الخارج في تشكيل حضارة الداخل إما بصقلها وتقويتها، أو إضعافها، أو إبقاءها حيّة رغم ضعفها. العدوّ الخارجي يطيل عمر الإمبراطوريات رغم ضعفها ووهنها. ولهذا تحتاج الحضارات زمن الأزمات إلى صناعة واختلاق عدوّ خارجي[٢٤].

بيّن أنور عبد الملك الأسس الأربعة الضروريّة للوجود الاجتماعي وهي القدرة على إنتاج الاحتياجات المعيشيّة، والثروة الديمغرافيّا، وتوفّر سلطة مركزيّة، ووعي أهل الحضارة بأهمية تموقعهم الزماني والتاريخي وتعاليهم، وتبرز هنا أهمية الأديان[٢٥]. بالمقابل حاول توماس كون Thomas kuhn تشريح مسألة إنتاج المعرفة وبيّن أنها تعتمد على تراكم الخبرة والمعرفة، وأهميّة وجود صعوبات وعوائق مما يوفّر الحاجة للابتكار والتجربة وأخيرا يقع التجاوز، أي ابتكار براديغم جديد يُعوّض القديم[٢٦]. ولهذا ترتكز الحضارة على أسس عديدة أهمّها الابتكارات العلميّة والتجارة والطرق التجاريّة البحرية والبريّة، والكشوفات الملاحية والجغرافية، واقتصاد راسخ يسمح باعتصار فائض الإنتاج مع مراعاة ثنائيّة جودة/ثمن. كما تسمح الأنهار الكبرى بتوفير شريان اقتصادي حيويّ ووسيلة شحن للمناطق بأسرع زمن وأقلّ تكلفة وأقلّ خطورة، وينتج عن ذلك منافسة بين الفاعلين في الجودة والسعر وابتكار الطرق والتقنيات الجديدة. ومن المهمّ أن تكون السلطة قادرة على التحكّم في شبكات الطرق ووسائل الاتصال.

تسعى الحضارة إلى امتلاك جهاز إنتاجي متين عبر امتلاك الطّاقة وهذا ما يدعّم القدرة التنظيمية وحشد الجيوش. ويسمح ذلك بالمرور لمرحلة التمدّن، وامتلاك التكنولوجيا وبالتالي القدرة على صناعة الحرب. ولهذا فهي تحتاج إلى أسس ماديّة لنشأتها خاصّة قوّة العمل اليدويّة والتقنيّة والمواد الأولية والثروات الطبيعيّة[٢٧]. وينتج هذا الأمر بالضرورة نشأة التمييز بين الفاعلين سواء تمييز طبقي أو معرفي، وهنا تضطلع الإيديولوجيا بمهمّة شرعنة الفروق و"تصنيفها لا فقط بوصفها جوانب غائيّة للعلاقات الاجتماعية، بل على اعتبار أنها متجذّرة في جوهر الكون"[٢٨]، ولهذا من الطبيعي أن تتشابك المصالح الاقتصاديّة والاجتماعيّة والأفكار في إنتاج النّظم الاجتماعيّة[٢٩]. تعتمد فكرة "المجتمع" على السعي إلى فهم طبيعة التآلف الاجتماعي عكس فكرة نمط الإنتاجي التي تبتغي معرفة القوى الفاعلين ذات الرهانات وشبكات المصالح في المجتمع، والأساليب التي تعتمدها، سواء فكريّة أو ماديّة، للنفاذ إلى المنافع والمصالح. تساهم شبكات العلاقات في إخضاع السكّان إلى أوامرها وتوجيههم إلى العقود الاجتماعيّة التي تراهما مناسبة، و"يقوم كل نمط في نطاق دائرة نفوذه بتوليد أشكال من التزامن بين جماعات وطبقات تخدم أغراضه في ظلّ ظروف تاريخيّة وجغرافية معيّنة"[٣٠]. ويحضر القانون في هذا الإطار كوسيلة حيويّة وأساسيّة لتأسيس العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبلورة مفهوم الوطن أو السلطة عموما "بالمعنيين الزماني والمكاني"[٣١].

تسعى الحضارات للبحث عن أسهل وأكثر الوسائل ربحا والأسرع والأكثر أمانا لكسب الأرباح ودفع الخسائر، فمُجمل اكتشافات الطرق البحريّة والبريّة

والأساليب المرتبطة بتقنيات التنقّل ونقل المعلومات بأسرع طريقة تنضوي تحت هذه الفكرة[٣٢]، مثل اكتشاف رأس الرجاء الصالح وأمريكا وشقّ قناة السّويس. ولهذا تستفيد الحضارات من موقعها الجغرافي لتناقل سهل للمعارف والبشر والهويّات والثقافات واكتساب القدرة على عبور الحدود الثقافيّة والدينية والماديّة، وتوفير التلاقح الثقافي عبر الجيوب الجغرافية الهجينة (الجزر مثلاً)، والمهارات اللغوية، والتلاقح القومي، والديني، والعرقي. كما يساهم اجتماع قوى عديدة في حيّز جغرافيّ معيّن في ترسيخ متغيّر المنافسة مع تقارب القوى، ويدعّم ذلك التنافس على مستوى الإنتاج وبالتالي البحث عن التفوّق، ويترسّخ ذلك بتواجد مؤسسة الأسواق الداخلية والخارجيّة[٣٣]. كما يوفّر الموقع الجغرافي الملائم الاستفادة من الثروات الطبيعيّة ومن الطرقات التجاريّة البريّة والبحريّة[٣٤]، أو بالابتعاد عن بطش المنافسين الأقوياء مثل حالة الولايات المتحدة إلى حدود النصف الأول من القرن ٢٠. وفي هذا الإطار تشابك صعود الولايات المتّحدة مع ذروة الإمبريالية الأوروبيّة لكن في ظلّ بعد جغرافيّ آمن عن القارة الأوروبيّة سمح لها من ناحية بمعارضة كلّ وجود أوروبيّ في القارة الأمريكيّة (كندا، المكسيك، كوبا: بالنسبة لإنجلترا وفرنسا وإسبانيا) مع صعوبة أوروبيّة تقترب من الاستحالة في محاربة الولايات المتّحدة الأمريكيّة. نفس البعد الجغرافي مكّنها من تمثّل واستيعاب مرتكزات الثورة الصناعيّة مع هامش زمنيّ وسياسيّ للقيام بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والقانونيّة. وترسّخ ذلك باستثمار مثاليّ لنتائج الحرب الأهلية الأمريكيّة وأهمّها إتمام السيطرة على الجنوب وبالتالي على ثرواته المتوجّهة للقارة الأوروبية وخاصة القطن والشروع في حيازة شاملة للشرق الأمريكي. نشأت القوّة الأمريكية أمام أعين الهيمنة الأوروبيّة وفي الآن ذاته بدون القدرة على منعها[٣٥].

تسعى السلطة للتآلف الاجتماعي والتوافق بينها وبين المجتمع وبينها وبين المنافسين الخارجيين. وتشهد هذه الرهانات بروز عدد من المتغيّرات تطرأ على المجتمع في محاولة التكيّف مع الظروف الخارجيّة المتغيّرة، وتكيّف المؤسسات الاجتماعيّة المختلفة داخل الدولة مع بعضها، وتكيّف الأفراد مع هذه المؤسسات. وتعتمد النظم الحضاريّة في زمن البناء على ثلاثة منابع أساسيّة وهي: العرق، العقيدة، والعائلة. وتساهم أنماط الإنتاج المختلفة والمتنوّعة في تحديد طبيعة السلطة، وبالتالي في تشكيل الإيديولوجيّة الملائمة لهذه السلطة[٣٦]. كما تسعى إلى توفير شرعيّة لوجودها ولهذا يُستحضر الماضي أو "النهضة renaissance" وإعادة الإحياء. فالوجهة هي الماضي والهدف هو الحاضر والمستقبل[٣٧]. وتسعى الحضارة إلى إنتاج المعاني وتسمية الأشياء وتعيينها، وتعريف الأفعال، والأقوال، وتصنيفها. ولهذا تضطلع الإيديولوجيا بمهمّة "تقنين" الفوارق الاجتماعية لا باعتبارها نتيجة صراعات اجتماعية، بل باعتبار "أنها متجذّرة في جوهر الكون، في طبيعة الطبيعة، في طبيعة الطبيعة الإنسانية وفي طبيعة المجتمع"[٣٨]. وقد استنتج وولف أنّه ثمة "وجه اقتصادي وسياسي لتشكّل منظومة الأفكار، ومنظومات الأفكار هذه لا تلبث لحظة إنتاجها أن تتحوّل إلى أسلحة في صدام المصالح الاجتماعية"[٣٩].

يحتاج الفرد لمؤسسة الدولة، مثلما تحتاج الدولة لسكّانها. وتسعى الدولة لتوفير عناصر أساسيّة مثل الأمن والغذاء. يرتّب إبراهام ماسلو Abraham Maslow نموذجا هرميّا للحاجات البشريّة وهي الحاجيات الفيزيولوجية (هواء، ماء، نوم...)، والأمن والأمان (منزل، وطن، أسرة...)، والانتماء (الترابط الاجتماعي، القرابة...)[٤٠]. ويُعتبر العدل وسيلة أساسيّة لتوفير التهدئة الاجتماعيّة والمحافظة على الوحدة الداخليّة. ولهذا ركّزت كتب المرايا السلطانيّة على هذه المسألة. أقام الطرطوشي مثلاً نظريّته في الدولة على أساس: الملك، الجند، مال، جباية عمارة، عدل[٤١]. وقد ذُكر في مصادر أخرى الأركان الأربعة للملك حسب أبي جعفر المنصور وهي: قاض عادل، صاحب شرطة ينصف الضعيف من القويّ، صاحب خراج لا يظلم الناس ويحفظ المال، صاحب بريد أي مشرف على جمع الأخبار والمعلومات ينقل أخبار الأركان الثلاثة الأولى بدقّة[٤٢]. وتترسّخ هذه العوامل المؤسساتيّة والإيتيقيّة بمرتكزات بنيويّة سواء على مستوى البنى الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة، حيث يشير الماوردي إلى أن الاجتماع

البشري يرتكز على ثلاثة عناصر وهي: الفرد، الروابط الدموية بين الأفراد، العناصر المادية وهي الوسائل الضرورية للعيش (الاقتصاد)[٤٣]. ويؤسّس العدل لمسألة الشرعيّة، حيث تُعاني الأبنية الحضاريّة من هشاشات داخليّة كثيرة تساهم في تراجعها أو تفكّكها مثل غياب العدالة الاجتماعية، أو تفكّك السلطة المركزيّة، وغياب الشرعيّة للوجود وعدم التمكّن الاقتصادي والتكنولوجي وبالتالي العسكري[٤٤]، ويساهم ذلك في تهديد معاش السكّان وفقدان السلطة لأحد مرتكزات الحضارة وهو إيديولوجية السلطة الحاكمة، أي الشرعيّة[٤٥].

بيّن أدم سميث المرتكزات الأساسية لتطور الحضارة الأوروبية وأهمّها اختراع الأسلحة النارية (الثورة العسكرية)، ونظام الإنتاج القائم على تقسيم العمل دون عبودية، وتأسيس السلطة المطلقة، مع الاعتماد على نظام سياسي مرتكز على الحريّة[٤٦]. كما ناقش عدد الباحثين فكرة أن تفوّق نموذج الدولة الأوروبية يرجع إلى القدرة على حفظ السلم الداخلي وضمان حقوق الملكية في الأسواق وتحصيل الضرائب والقدرة على الدفاع وشن الحرب"[٤٧]. ولهذا تسعى النّظم الحضاريّة لتوفير التهدئة الاجتماعية والسلم الأهليّ، حيث تتشكّل الحضارات من مجموعة من الثقافات وهي تتوزّع عموما بين الثقافة السائدة، والثقافات الفرعية، والثقافات المضادّة. وعلى السلطة أن تُحسن التعامل بينهما لتجنّب الصراعات الداخليّة. تتضرّر الحضارات من الانقطاعات التي تتخلّ النسيج الاجتماعي وتُبطل آليّات التضامن مما يُنتج الصراعات الداخليّة بين الفاعلين بسبب عدم توزيع عادل للثروة ومنع جزء من المجتمع للنفاذ إلى المصالح الاجتماعيّة السياسيّة[٤٨]. ولهذا تُعدّ فكرة "الثقة" لحظة أساسيّة في البناء الحضاري[٤٩]. وهذا ما يُثبت أهميّة ممارسات الصّفح في حياة الحضارات بحثا عن التهدئة الاجتماعيّة وكممارسة قيميّة[٥٠]، كما تنقلنا قيمة الصّفح لمسألة الغفران وآثارها الحضاريّة[٥١]، حيث تعتمد الأنظمة لاستمراريّتها على عوامل عديدة منها "التسامح المتبادل" و"المؤسساتيّة"[٥٢]. ولا يمكن لنا الحديث عن سلم أهليّ أو تهدئة اجتماعيّة بدون سلطة قويّة راسخة، ولهذا تحتاج النظم الحضاريّة إلى سلطة قويّة مركزيّة قادرة على التجميع والتهدئة الاجتماعيّة وانفاذ القرارات والمشاريع وإرضاء مُجمل الفاعلين المؤثّرين، فالسلطة أساسا هي "مركز تكوين واستمراريّة"، وهي "الفكرة الأمّ"[٥٣]. ويُستتبع ذلك بتشكيل المدوّنات القانونيّة لترسيخ السلم الأهلي وسرعة التبادلات والبيع والشراء (سلع وأفكار وعقول)، واحتكار وسائل إنتاج الطاقة (الإنسان، مواد أولية، ثروات طبيعيّة...)[٥٤].

نلاحظ علاقة قوة الحضارة ونشأتها بالقدرة على انتشار الأفكار الجديدة والفترة الزمنية المناسبة لانتشار الفكرة والوسائل المعتمدة لانتشارها والتركيب الاجتماعي المتقبل لها[٥٥]. تبتكر الحضارة، أو تتبنّى، فكرة ثم تسعى إلى نشرها في الداخل والخارج. وثمة ثلاثة شروط لانتقال الفكرة: أوّلاً أن تكون قادرة على الانتشار عبر التواصل المباشر أو من خلال قنوات خاصّة، ثانيًا: يجب أن تكون الحضارة راغبة في تقاسم المعارف أو عاجزة عن حجبها. وثالثًا، من المهمّ أن يكون المتلقّي راغبًا في قبول هذه المعرفة أو عاجزًا عن صدّها[٥٦].

تسعى الحضارة إلى تحقيق التراكم الاقتصادي مع إعادة الإنتاج والتوسّع ولا يمكن أن يتحقّق ذلك بدون ثروات بشريّة. ولهذا يتخلّل بناء الحضارات هواجس ديمغرافيّة، فحسب أميّا كومار باغتشي Amiya Kumar Bagchi، مرّت الرأسمالية بعصرين محوريين، الأول عصر الثورة الصناعيّة بداية من سنة ١٧٦٠، والثاني تحسّن طول العمر وصحّتهم بسبب ثلاثة عوامل هي تطور النظرية الجرثومية في الأمراض والتدابير الوقائية، هجرة جزء من سكان أوروبا إلى أمريكا، تطوّر نضالات العمال مع اشتداد وطأة الرأسمالية. أجبرت هذه العوامل الحكومات الأوروبية على تحسين خدماتها الاجتماعية والصحية (الصرف الصحّي مثلا)[٥٧]. برز هنا متغيرين حاسمين. أولا السيطرة على البيئة المرضيّة (النظافة، التلاقيح، الدواء...)، وثانيًا توفّر موارد غذائيّة (سعرات حراريّة مناسبة وبالتالي مناعة أصلب وأشدّ)[٥٨].

ثانيًا: أسباب انهيار النّظم الحضاريّة

ناقش عدد من الباحثين معايير مختلفة لقياس التحضّر مثل العلاقة الرابطة بين استنزاف الموارد واكتشاف الموارد الجديدة، والكوارث الطبيعية والقصور في التعامل مع الظروف المحيطة، ودور الغزاة في ذلك، وسوء الإدارة ومعاناة المجتمع من الصراع (الداخلي والخارجي) وسوء الإدارة والتناقضات والاختلال الاجتماعي والأزمات الاقتصادية (خاصةً الزراعة) وقدرة الدولة على التعامل مع معطى المعلومات، وطبيعة السيطرة السياسيّة ومداها وحدودها[٥٩].

قُدّمت تأويلات عديدة حول أسباب سقوط الإمبراطوريات منها فساد النخب والطبقة الحاكمة[٦٠]. كما نُوقش قانون الدورات التاريخيّة المعتمد على فقدان العصبيّة والتماسك الاجتماعي (ابن خلدون) ودورة الحياة الطبيعيّة (شبلنجر)، والتحدّي والاستجابة (توينبي Arnold toynbee). ويتشابك ذلك مع الدورات الاقتصاديّة (كونراتيف Nikolaï Kondratiev) حيث إنّ الحروب والثروات هي نتيجة للحركات الدوريّة الاقتصاديّة، وقُدّمت نظريّات أخرى لانهيار الحضارات تفيد بأنّ التقدم الصناعي والتكنولوجي يأتي عادة على حساب زيادة التعقيد البنيوي لتكاليف الطاقة والتكاليف الاجتماعية الهائلة؛ وكلما زاد التقدم كلما زاد التعقيد، وزادت بالتالي الموارد اللازمة للحفاظ عليها، مما يؤدي إلى انهيار الحضارة المشرفة على هذا التقدّم[٦١]. وسعت دراسات أخرى إلى التدليل على أنّ فشل النظم الحضاريّة في التوفيق بين القوّة العسكريّة والاقتصادية والسياسيّة والأيديولوجيّة يؤدّي إلى تقهقرها وانهيارها. وقد خصّص هيرفريد مونلكر Herfried Münkler كتابه لمحاولة فهم وتحليل هذا المنطق، حيث إنّ هيمنة حضارة معيّنة ترتبط بسيطرتها واحتكارها لمجموعة من الميزات الاقتصاديّة مثل "دورة الهيمنة" التي عايشتها الولايات المتحدة الأمريكية بين سنة ١٨٥٠ و١٩٧٣ بفضل تفوّقها المطلق عالميا في قطاع الصلب، والحديد، والمنتجات الكيميائية والكهربائية. ثم دخلت الولايات دورة هيمنة جديدة بفضل تميّزها المطلق في تكنولوجيا المعلومات[٦٢]. عيب هذه النظريّة أنها تميل كليّا للجانب الاقتصادي، ولهذا يطرح Herfried Münkler رأيا مفاده أن على الامبراطوريّة أن توافق بين القوة الاقتصادية (المداخيل، فائض الإنتاج، السياسات الجبائيّة...) والسياسية (النخبة الحاكمة، عقلنة الإدارة...) والإيديولوجية (الهويّة الثقافيّة، الخطاب الرسمي والمضاد...) والعسكريّة (البحرية والبريّة...) فصنف "القوة الضرورية لارتقاء الإمبراطوريات واستقرارها يرتبط إذا بعوامل داخليّة أوّلا وظروف خارجيّة ثانيا"[٦٣].

ساهمت التجارة والحروب في نشأة حضارات وانهيار أخرى[٦٤]. ويبرز لنا عبر التاريخ أهمية الموارد الأولية في نشأة الحضارة واستمرارها وخاصة الماء، التربة، التعدين، الغابات، والمناخ. ونفس هذه العناصر تسبّبت في انهيار نُظم أخرى وخاصة بعد الضرر الذي يسبّبه السكّان لبيئتهم مما يُنتج استنزافا للثروات الطبيعيّة، وبالتالي الغذائيّة، ويعقب ذلك حروب، وأزمات، وأوبئة، ومجاعات. أما العامل الثاني فهو تغيّر المناخ مما يسبب أزمات زراعية، ثم غذائية ووبائيّة، وإمكانية وقوع الكوارث الطبيعيّة (جفاف، فيضان...). والعامل الثلث وجود الجيران الأعداء المحاربين المندفعين حاملي الأطماع. والسبب الرابع: انخفاض الدّعم من الجيران الأصدقاء، فلكل مجتمع تاريخيا عادة حلفاء وأصدقاء وداعمين (في الحرب، التجارة، الثقافة...). والعامل الخامس هو طبيعة ردود الفعل التي ينتجها المجتمع تجاه المشكلات التي تعترضه، وتبرز هنا أهمية مؤسسة الدولة المركزية، أو فعل العقلنة، أو التنظيم الإداري[٦٥]. ولهذا تتشابك الحضارة عضويّا مع مجالها، فقد ذكر جارید ديموند Jared Diamond خمسة عوامل لانهيار النظم الحضاريّة وهي: الضرر البيئي الذي يمكن أن يحدثه السكّان، القوى الطبيعيّة الناجمة عن تغيّر المناخ بما في ذلك إمكانيّة وقوع الكوارث الطبيعيّة والوبائيّة، سلوك الدول المجاورة المعادية، ضعف الشركاء التجاريين والحلفاء القريبين والبعيدين، الاستجابات المتباينة للمجتمعات المختلفة للمشكلات المتشابهة[٦٦]، ويتشابك ذلك مع القدرة على إنتاج الأسلحة المناسبة في الأزمنة المناسبة واحتكارها وحيازة مواد تمكّن نت ابتكار هذه الأسلحة (الحديد،

الفولاذ...)، وتموقع جغرافي مثاليّ سواء بمنأى عن العدوّ أو بتوفّر أراضي خصبة ومشتملة على ثروات معدنيّة، ونفس هذا الموقع الجغرافي يساعد على تجنّب الأوبئة والجراثيم[٦٧].

تمثّل شبلنغر Oswald Spengler الحضارة بكونها نسق عامّ فنيّ وثقافيّ ومعماريّ وعسكري وتقني، وعليها على أن تصل إلى مرحلة إنتاج الرّموز (الأفكار) مع القدرة على تسويقها مع ميله للوجدان على حساب العقلانيّة المفرطة حيث لم يخف توجّسه من المدنيّة الحديثة. ولهذا ركّز على أهميّة الأخلاق والفضيلة في المجتمعات. حاول أيضا أن يبيّن دور الحرب في نشأة الدولة وأهميّة وجود أعداء خارجيين لتشكيل الوعي الجماعي. وقد ركّز شبلنغر على دور "روح" الحضارة في استمرارها أو انهيارها. ومن المهمّ أن يبرز هنا الروح الجمعي، والدّين و"أسطورة ذات طراز عظيم"، هذا هو "الرّبيع"، ثم يدخل الصّيف مع نضوج المجتمعات وبداية بروز الهيجان الشعبي وانتقاده لأصحاب المصالح. ثم يدخل فصل الرّبيع حيث يتمّ عقلنة الحياة وتعويض الطبيعة بالروح. ويعلن فصل الشتاء عن بزوغ "النظرة الماديّة للعالم" و"مذهب العلم، المنفعة والرفاه" ويحدث "استئصال القوّة المبدعة" و"النوازع الأخلاقيّة". وتتزامن هذه الحقبات الأربعة (ذات المنحى الخلدونيّ البيّن) مع إنتاج فنيّ متنوّع معماريّ وتشكيلي وموسيقيّ[٦٨].

بيّنت الأبحاث أسبابًا عديدة لانهيار الحضارات مثل انعدام الأمن، والأزمات البيئية أو الاقتصادية، والمجاعة، وما يستتبع ذلك من انحدار ديموغرافي. وهذا ما يُنتج انقطاع التفاعل بين العوامل البيئية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية. تحاول السلطة الرّاسخة الاستجابة الفعّالة للأزمات البيئية من خلال الابتكار والتكثيف[٦٩]. ويساهم تشتّت الدولة في الحروب واختلاف محاور الصراع لديها في انهيارها وتراجع الحضارة هموما، ويمكن أن يتدعّم ذلك بالأزمات المناخيّة والكوارث الطبيعيّ والوبائيّة والغذائيّة والانهيار الديمغرافي، ويؤسس ذلك لتمزّق الداخلي للدولة وانقسامها لأقاليم مع فقدان السلطة لحكمها وهيمنها المركزيّة، إلى جانب فقدان الدولة لشبكة صلاتها الدبلوماسيّة وعلاقاتها ومواصلاتها مع الخلفاء الخارجيين (المموّلين الأساسيّين بالغذاء والسلع والأفكار)[٧٠]. وقد ركّز عدد آخر من الباحثين على مسألة التغيّرات المناخية التي تؤثّر مباشرة على الإنتاج الفلاحي والغذائي للحضارة ممّا يفقد الحضارة قدرتها على إعالة السكّان وبالتالي حضور المجاعة. فقد تزامن الجفاف مع سقوط عدد كبير من الحضارات. كما برزت نظريّة "التجاوز overshoot" حيث تتوسّع المجتمعات على حساب حجم الموارد المتقلّص وغير المستدامة، كما تؤثّر الصراعات الداخليّة والأزمات السياسيّة في زعزعة استقرار الحضارات ويحرمها من التحرّك في الوقت المناسب لمجابهة الأزمات المناخيّة أو الوبائيّة أو الغذائيّة والعدوان الخارجي. إذا طرح الباحثون ثلاثيّة: تغير المناخ، والإفراط في الاستهلاك، والانقسام السياسي عند الحديث على انهيار الحضارات[٧١].

يمكن أن تتعرّض الإمبراطوريات للانهيار السّريع بسبب كارثة طبيعيّة جارفة أو عجز ماليّ واستنزاف عسكريّ[٧٢]. ومن الأسباب الأخرى لانهيار النظم الحضاريّة نجد النمو السكاني الكثيف، والمنافسة الاجتماعية والسياسية المتزايدة بين أصحاب النفوذ والفاعلين، وتفاقم الانقسامات الطبقية، وميل المجتمعات للنزعة العسكرية، والمنافسة بين الجّيران مما أنتج ضغوطات عسكريّة واقتصاديّة، ويمكن أن ينتج عن ذلك انهيار التجارة والزراعة. وتترسّخ هذه الانهيارات مه بروز مراكز أخرى ذات نفوذ وحائزة على موارد أقوى وأثمن[٧٣]. كما يساهم الانقسام المجتمعي، خاصّة المصنوع من السلطة الحاكمة، سواء كان دينيّا أو عرقيّا أو لغويّا في التمهيد لانهيار الحضارات. يمكن للسلطة أو تشكّل وتنسج خيوط هذا الانقسام، أو يمكن لها أن تستثمر وجوده. يرسّخ هذا الانقسام عدم وجود ممارسات إداريّة عقلانية في الدولة خاصة على المستوى الاقتصادي والسياسي، وهذا ما يُعرقل الاستثمار الأمثل للموارد البشريّة والطبيعيّة مع التحيّز لفاعلين اجتماعيين دون سواهم[٧٤]. ويؤثّر انتشار العنف الداخلي في استنزاف الحضارات مع فقدان الدولة لمصداقيّتها وعجزها عن القيام بواجبها المعاشي والحمائي والاجتماعي تجاه السكّان، وبالتالي إمكانية انهيار مؤسسات الدولة. ينتج فشل الدولة عادة عن التفاعل

طويل المدى بين عدد من العوامل أهمّها الركود الاقتصادي، والانقسامات السياسية والعرقية، والفساد المستشري، وتدهور البنى الأساسيّة والتحتيّة، والتدهور البيئي[٧٥].

من أهم أسباب انهيار النظم الحضاريّة هي بروز طبقة ليس لها ما تخسره أو تخاف عليه، وهي عادة ما تكون طبقة متضرّرة من نمط الإنتاج السائد. طرح عدد من الباحثين أسبابا أخرى لانهيار الحضارات حيث تتركّز الثورة بين أصحاب النّفوذ، مما يستنزف الموارد، ويعيق قدرة السلطات المركزية على الاستجابة بشكل مناسب للتهديدات المتزايدة التي تهدد المجتمع، وتشتدّ الأزمة مع عدم قدرة القادة على التعامل مع المشكلات سواء الداخلية أو الخارجيّة، مع حرص متواتر على التذكير بخطر الكثافات السكانيّة عبر أفكار المالتوسيّة الجديدة المتشابك مع ندرة المواد الأساسيّة والاستهلاك غير المتحكّم فيه والإفراط الشديد في استغلال الطبيعة والتلوّث. مع بروز متغيّرات أخرى مهمّة مثل التفكّك الاجتماعي حيث فقد المجتمع تماسكه التقليدي عبر تقلّص نفوذ مؤسسات كالعائلة والجيرة والصداقة، كما ساهم تراجع الاقتصاديّات المحليّة والتقليديّة في اشتداد الأزمات المعيشيّة لأصحاب الدخل المحدود، وبالتالي عدم قدرة الجميع للوصول إلى ضروريّات الحياة وهي المأكل والملبس والمأوى والأمن والرعاية الصحيّة والتعليم[٧٦]. وتطرّقت بحوث أخرى لدور المناخ والهجرة والأوبئة وانتشار الأسلحة وبالتالي ترسّخ وجود مؤسّسة الحرب في تدهور الحضارة[٧٧]. وناقش آخرون أنّ الحضارات تنتهي بالانهيار لأسباب متنوعة منها البيئي والثقافي، ولكن يكمن وراء كل هذه الأحداث ميل نحو التكثيف الاقتصادي والتوسع السياسي وزيادة السيطرة الاجتماعية، وبالتالي فقدان المرونة الاجتماعية والسياسية، وهذا ما يرسّخ قدرة المجتمعات المحليّة على إدارة مواردها الخاصّة وتقليل نفوذ المركز والسلطة الحاكمة[٧٨]. ولم يغفل عدد من الباحثين دور الدّين والإيمان والتوق إلى "روح" الشعب أو الأمّة في تأسيس الحضارة أو ترسيخها[٧٩].

قدّم عدد من المؤرّخين آراءهم في سبب انهيار الإمبراطورية الرومانيّة، فقد تعرّضت للجفاف مما انجرّ عنه معايشة السكّان حالة الندرة وبالتالي وقوع المجاعة. كما شهدت الدولة انخفاضا في عدد الولادات، كما تناقص وجود النُخب في الرّيف مما تسبّب في تقلّص الممتلكات الكبيرة، وقد نتج عن ذلك الإمبراطورية لأفقر الفلاّحين مع بقاء مساحات واسعة من الأراضي بورا. أنتجت هذه الأسباب أزمة اقتصاديّة عميقة، وقد تعمّق ذلك بغياب الطرق الآمنة سواء البريّة أو البحريّة ممّا أثّر بالتالي على التبادلات التجاريّة. كما عانى المجتمع الروماني من انشقاقات داخليّة حيث اضطرّت الإمبراطورية إلى تجنيد "المرتزقة" والمسيحيّين رغم رفضهم لها، بل لم يخفوا تمرّدهم عليها مما تسبّب في كثرة الثورات وبالتالي القمع، مما ساهم في فقدان الجيش الروماني توازنه. وتفاقمت هذه الأزمات بالحروب الكثيرة التي شنّتها القبائل المحيطة بأراضي الإمبراطورية أو ما أطلقت عليهم الوثائق "البرابرة"[٨٠]. وقد ساهمت نفس هذه الأزمات (الحرب، الأوبئة، التدهور الديمغرافي)، في سياقات أخرى مختلفة، في بروز الهيمنة الأوروبيّة بداية من الطاعون الأسود، والحرب بين المدن والدول التجاريّة، والحروب الداخليّة والأهليّة الدينيّة وأخيرا نشأة الثورة الصناعيّة[٨١].

ارتبط الوعي بسقوط الحضارة بسياق أدبي وفكري كامل متشائم وقاس ولم يخف تنبّأه وتوقّعه لهذا السقوط[٨٢]. وقد تعمّق بول هازار Paul Hazard في هذه المسألة مبرزا علاقة السياقات الحضاريّة بتمثّلات الفاعلين المؤثّرين في المجال العلمي وبيّن دور تصادم الأفكار في وقوع الأزمات الفكريّة وفي الآن ذاته السعي للبحث عن حلول وأنماط معرفيّة وفكريّة جديدة من قبيل التصادم بين القانون الطبيعي والقانون الإلهي، أو التضاد بين الحداثة والتقليد (وما نشأ مثلا عن ذلك من إنكار للسحر وإنكار العجائب والسعي الدؤوب للبحث عن تفسيرات علمية طبيعيّة). عرّف في هذا الإطار بول هازار أوروبا بأنّها "استبسال جيران يتقاتلون. ومنافسة بين فرنسا وإنجلترا، وبين فرنسا والنمسا...إنها حرب عامّة...وستشكّل أوروبا مجتمعا بدل من أن تبقى ساحة معارك"، وقد استفادت أوروبا من "معركة الأفكار

الكبرى" هذه[٨٣]. وقد تناول إدموند هوسرل هذا الأمر من زاويته الخاصّة وبيّن أنّ الحضارة الأوروبيّة عايشت أزمة ابتيمولوجيّة وهي فصل العلوم "الصحيحة" عن كلّ ما هو وجداني وإنساني وعزل كلّ أسئلة المعنى والغاية[٨٤]. وقد قدّم الباحثون أسبابًا أخرى لسقوط الحضارات مثل طبيعة سلوكيّات السكّان (الأخلاق والفضيلة مثلا)، وقصر النّظر وطبيعة البيئة وغياب مفهوم المؤسّسات وترسّخ السلطة المركزيّة وتوفّر الرعاية الاجتماعيّة من عدمه[٨٥].

خَاتِمَةٌ

سعينا في هذا البحث إلى تبيّن أهمّ مرتكزات بناء النّظام الحضاريّة وأبرز أسباب انهيارها. وساعدنا البحث في سياق هذه الإشكاليّة على محاولة بناء نظريّة أوليّة، وتتمثّل أهمّ مفاصلها في فرضيّة أولى أساسيّة وهي إجباريّة توافر متغيّر الأزمة. يحثّ هذا المتغيّر المشرفين على النظم الحضاريّة على ابتكار حلول للعوائق التي تعترضهم والتفكير في أساليب وأنماط سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة مغايرة للأنماط التي تسبّبت في الأزمة. كما يؤسّس متغيّر المنافسة لانتشار ثقافة الابتكار والخلق في ثنايا الرهانات الحضاريّة، فمن المهمّ أن تنشأ الحضارة في سياق تنافسي سواء بسبب وقوعها بين حضارات عريقة، أو بالتزامن مع نشأة كيانات حضاريّة أخرى جديدة. وقد وفّر لنا أرنولد توينبي نظريّة مهمّة لفهم جوانب عديدة لنشأة الحضارة وهي نظريّة التحدّي والاستجابة[٨٦]. حيث تخضع الحضارات لصعوبات وتحديات عديدة مما يُجبر الفاعلين على ابتكار حلول وأساليب سياسية وتقنيّة لتجاوز هذه الصعوبات. كما تتشابك الحضارات زمن بناءها مع متغيّر "المناسبة"، حيث يسعى المؤسّسون إلى ابتكار أزمنة لحضارتهم سواء زمن سياسيّ (اليوم الوطني، عيد الاستقلال...) أو دينيّ (الأعياد) أو اجتماعي وثقافي. تؤسس هذه التقنيات لتشكيل ذاكرة للحضارة والتالي شرعيّة متجددة للوجود، ولهذا لا يمكن للحضارة أن تتخلّى عن مفهوم المناسبة.

وقد طرح المقال إجباريّة وجود متغيّر توازن القوى، وإجباريّة توفّر المنافسة داخليًا وخارجيًا أوّلا عند مرحلة طفولتها حيث يسمح لها ذلك بالمناورة بين مراكز وأقطاب القوّة، وفي زمن صعودها وسطوتها عبر استغلال تنافس أصحاب النفوذ سواء في الداخل عبر حثّهم للتنافس على إنتاج المعرفة وأساليب القوّة، أو الخارج مما يسمح لها بالمساومة والمقايضة. ساهمت مسألة توازن القوى وتنوّع الفاعلين الاجتماعيّين في بروز الحضارة الغربيّة، بالمقابل نشأت لأسباب عديدة نُظم هجينة في البلاد العربية بداية من القرن ١٩، لم تكن فيها القوّة متوازنة، بل منخرمة، سواء لصالح مؤسّسة الدولة بطريقة كاسحة أو لأحد أذرع مؤسسة الدولة (الجيش مثلا) أو لعائلات داخل الدولة[٨٧]، كما أنّ التنافس بين الدول العربيّة نفسها أو بينها وبين الدول الغربيّة لم يكن موجودا البتّة أو كان تنافسا شكليًا أو فاقدا للبنى الهيكليّة المساعدة في نشأة الحضارات.

ناقش هذا البحث فرضيّة أخرى وهي أنّه لا يمكن أن تبرز حضارة إلا في حالة توفّر مفهوم التعقّد والفكر الشبكيّ مع تجنّب الفكر الخطّي والثنائي، أي تشابك الحضارة الناشئة مع رهانات زمانها وعراقيله، مع حضور فاعلين كثيرين ورهانات عديدة وأزمات متعدّدة جغرافية واقتصاديّة وغيرها. فالتعقّد يمهّد لابتكار الحلول. ومن المهمّ أن تكون الحضارات تعدديّة من الداخل لكي تستمرّ في الحياة. فالتنافس الداخلي الفكري والاقتصادي يساهم في ابتكار تقنيات ومهارات جديدة وحلول لأزمات وعوائق مستجدّة. فالحضارة تحتاج لتوازن قوى متين وراسخ داخلّي ومنافسة خارجيّة شديدة. وعلى النظم الحضاريّة أن تُنتج مدارس فكرية تعرف بها وعبرها وتولد المدارس الفكرية الأفكار عبر "الحوار والجدل والسجال والاختلاف التي تولّد توتّرا فكريًا وفنيًا"[٨٨]، وأن تجد هذه "الشبكات" الفكريّة منافسين لها في الداخل وشبكات صلبة أخرى في الخارج، فالحوار والتنافس الفكري يولّد الفكرة والتنافس ويحفز الإبداع ويزعزع "التماثل في الرأي"[٨٩].

تبيّن لنا أنّه لا يمكن بناء نظام حضاريّ بدون تشكيل شرعيّة سياسيّة واجتماعيّة للنظام السياسي، ولا تتأسّس حضارة إلا بعد ابتكار عدوّ داخليّ أوّلا وخارجيّ ثانيا وصناعة النقيض، والبحث عن شرعيّة في الماضي. تبدأ النظم المعرفيّة في وصم المنافسين المحليّين لتوحيد

الجبهة الداخليّة، ثمّ تشكيل وصم وصور نمطيّة لعدوّ خارجيّ. تسعى الحضارة إلى حماية الجبهة الداخلية وتوفير التهدئة والتآلف الاجتماعي مما يقلّص الانقسامات السياسيّة. وتتكفّل المدوّنة القانونيّة بالتأليف بين كل هذه الرهانات وهي التي تكون مراعية لتوازنات الفاعلين الاجتماعيين الداخليين وغير مستفزّة للمتنفّذين الخارجيّين. مع التركيز على المدوّنة القانونيّة الاقتصاديّة سواء الجبائيّة أو المسهّلة لعمليّات البيع الشّراء، وبالتالي السعي إلى تحقيق ثنائيّة جودة/سعر وهي الأساس المتين للرأسماليّة. وتحتاج النظم الحضاريّة إلى شرعنة لكل رهاناتها، وهذا ما يتكفّل به جهازها الإيديولوجي.

راهن المقال أيضا على فرضيّة "ميزة التخلّف" فمُجمل الحضارات الفتيّة استفادت من تخلّفها ومن تقدّم جيرانها. كما أنّه من المهمّ أن تشتمل النظم الحضاريّة على ممارسات للغفران والقدرة على إنتاج ممارسات الصّلح والتجاوز مع أهميّة الاعتماد على الحريّة كقيمة حيويّة وإجبارية. كما طرحناه فرضيّات أخرى مهمّة كإجباريّة تواجد سلطة مركزيّة راسخة وصلبة، وتمتّع الحضارة بموقع جغرافيّ آمن وغنيّ وثروة ديمغرافيّة. مع حسن توفيق أعوان السلطة بين القوّة العسكريّة، والاقتصادية، والسياسيّة، والأيديولوجيّة.

هل يمكن أن نختصر كل هذا التحليل في جمل قصيرة؟

يمكن أن نقول أنّ نشأة النظم الحضاريّة هو لحظة دقيقة ونقطة التقاء بين مصالح الفاعلين والمتنفّذين داخليّا وخارجيّا. نقطة الالتقاء هذه هي بداية نشأة الحضارة. لا تُولد الحضارة داخليّا فقط أو خارجيّا. وتعتمد السياقات الداخلية والخارجيّة على متغيّرات حيويّة أهمّها: توازن القوى الداخلي والخارجيّ وتوفير معطى التعقّد، الأزمة، المنافسة، الجغرافيا، وخاصّة شرعيّة للوجود. وغياب العناصر المذكورة المشكّلة للنظم الحضاريّة يعني تقلّصها أو انهيارها.

ويمكن أن نقدّم الترتيب التالي: تبدأ سيرورة نشأة النظم الحضاريّة بموقع جغرافي متميز ومحاط بمنافسين أقوياء ووجود عوائق تجبر الفاعلين على ابتكار حلول لتوحيد الداخل ودفع أطماع الخارج. تحتاج الحضارة لمُعطى الثقة المتبادلة بين الدولة وأعوانها وبين الدولة والسكان وبين السكان وأعوان الدولة. تتكفّل في هذا السياق الأيدولوجيا بتوحيد الداخل وتشكيل الهوية الجماعية ووصم الخارج لشرعنة حيازة الأرباح الخارجية. يتوحّد الصف الداخلي عبر تحييد المنافسين مع الحفاظ على وجودهم للإبقاء على متغير المنافسة والابتكار. ثم تُشكّل صورة العدو خارجي لتشكيل الهويّة أولاً وبالتالي اكتساب حقّ الوجود. تُحافظ هذه المنظومة على متانتها في ظلّ وجود منافسة وتوازن قوى داخليّ وخارجيّ، إذا فإنّ وجود حضارة أخرى قوية ضروري لبقاء قوة الحضارة الفتيّة ذاتها ومرتكز أساسي وحيويّ لها. بالمقابل، فإنّ توازن القوى (داخليّا وخارجيّا) يحتاج لمتغيّر الأزمة ليحافظ على نضارته، وكلّما ازدادت أهميّة الموقع/الموضع الجغرافيّ كلّما ازداد التنافس.

تنهار الحضارة عندما تنعكس هذه المصفوفة المذكورة، حيث يقع تصنيف عدو الخارج قبل تحصين الداخل، كما أنّ عدم الإبقاء على المنافسين الداخلين والخارجين يحجّم متغيّر المنافسة، وتصبح الأزمة هنا عنصرا معرقلا لا حاثا على الابتكار. كما يتسبّب غياب توازن القوى الداخليّ أو الخارجيّ في غياب الابتكار ومحولات البحث عن حلول، مما يؤثّر في أهميّة الجغرافيا، بل يمكن أن تتحوّل الجغرافيا نفسها إلى عنصر معرقل. ولهذا تتحوّل الإيديولوجيا إلى ممارسة سياسيّة تحمي الفاعلين لا بانية للحضارة.

الإحالات المرجعية:

(١) جون روبرت مكنيل، روبرت هاردي مكنيل، **الشبكة الإنسانية: نظرة محلّقة على التاريخ العالمي**، ترجمة: مصطفى قاسم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٤٥٨، مارس ٢٠١٨.

(٢) جاك غودي، **سرقة التاريخ**، ترجمة: محمد محمود التوبة، العبيكان للنشر، الرّياض، ٢٠١٠، ص٢٣٤.

(٣) نفس المرجع، ص.٢٣٤- ٢٣٥.

(٤) نيال فرغسون، **الحضارة: كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب؟**، ترجمة: سعيد محمد الحسنيّة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، ص.٤٥١ وما بعدها.

(٥) جاك غودي، **سرقة التاريخ**، مرجع مذكور، ص.٢٣٤- ٢٣٥.

(٦) نفس المرجع، ص.٤٣١-٤٥٩.

(٧) **الحضارات في السياسة العالمية: وجهات نظر جمعيّة وتعدديّة**، تحرير: بيترجي كاتزنشتاين، ترجمة: فاضل جتكر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فيفري ٢٠١٢، العدد ٣٨٥، ص.٤١- ٤٢.

(٨) راندال كولينز، **علم اجتماع الفلسفات: التأثير الاجتماعي والسياسي في نشأة الفلسفات والأفكار**، ترجمة: فريق جسور للترجمة، جسور للترجمة والنشر، بيروت، ٢٠١٩، الجزء ٢.

(٩) نفس المرجع، جزء ١، ص.٢٢٩.

(١٠) كارل بولانيي، **التحوّل الكبير: الأصول السياسيّة والاقتصاديّة لزمننا المعاصر**، ترجمة: محمد فاضل طبّاخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩، ص.٤٥٥- ٤٦٠.

(١١) راندال كولينز، **علم اجتماع الفلسفات**، مرجع مذكور، جزء ١، ص.٤٩٧-٥٧٧

(١٢) نفس المرجع، ص.٢٨.

(13) Victor Lee Burke, "The rise of Europe", Humboldt Journal of Social Relations, Vol. 20, No. 1 (1994), pp. 1-30

(14) Erich Weede, "Geopolitics, Institutions, and Economics", Geopolitics, History, and International Relations, Vol. 8, No. 1 (2016), pp. 177-220

(15) Alexander J. Motyl, "Why Empires Reemerge: Imperial Collapse and Imperial Revival in Comparative Perspective", Comparative Politics, Vol. 31, No. 2 (Jan., 1999), pp. 127-145

(١٦) جاك غودي، **سرقة التاريخ**، مرجع مذكور، ص.٣٣٩.

(١٧) إيان موريس، **لماذا يهيمن الغرب اليوم؟ أنماط التاريخ وما تكشفه لنا عن المستقبل**، ترجمة: روان القصاص، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٨

(18) Gabriel Paquette, The European Seaborne Empires: From the Thirty Years' War to the Age of Revolutions, Yale University Press, 2019

(19) Tirthankar Roy, "Empire, Law and Economic Growth", Economic and Political Weekly, Vol. 47, No. 8 (FEBRUARY 25, 2012), pp. 98-104

(٢٠) جاك غودي، **سرقة التاريخ**، مرجع مذكور، ص.٢٩٢.

(٢١) نفس المرجع، ص.٣١٧- ٣١٨.

(22) Jude T. Wanniski, "Economic Policy and the Rise and Fall of Empires", Financial Analysts Journal, Vol. 36, No. 1 (Jan. - Feb., 1980), pp. 20-27

(٢٣) ريتشارد غابرييل، **محمد أول جنرال في الإسلام، السيرة العسكرية الشاملة**، ترجمة: أحمد العبدة، جسور للترجمة والنشر، بيروت، ٢٠٢٣

(24) Yann Le Bohec, « Les guerres pour la vie (v. 509-396 avant J.-C.) », in: Histoire des guerres romaines Milieu du VIIIe siècle avant J.-C. – 410 après J.-C., Tallandier, Collection : L'art de la guerre, Paris, 2017, p.71-79

(٢٥) أنور عبد الملك، **الإبداع والمشروع الحضاري**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، ص.٣٣

(٢٦) توماس س. كون، **بنية الثورات العلميّة**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧

(٢٧) إريك وولف، **أوروبا ومن لا تاريخ لهم**، ترجمة: فاضل جتكر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٤، ص.٤١٨

(٢٨) نفس المرجع، ص.٥٤٤

(٢٩) نفس المرجع، ص.٥٤٦

(٣٠) نفس المرجع، ص.٥٤٠- ٥٤١

(٣١) جوزيف مسعد، **آثار استعماريّة: تشكيل الهويّة الوطنيّة في الأردن**، ترجمة: شكري مُجاهد، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ٢٠١٩، ص.٥٧

(32) Stephen J. Pyne, The Great Ages of Discovery: How Western Civilization Learned About a Wider World, University of Arizona Press, 2021,

(٣٣) توماس س. باترسون، **الحضارة الغربيّة: الفكرة والتاريخ**، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠١، ص.٥- ١٨

(٣٤) روبرت كابلان، **انتقام الجغرافيا: ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضد المصير**، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٤٢٠، ٢٠١٥

(35) Andrew Priest, Designs on Empire: America's Rise to Power in the Age of European Imperialism, Columbia University Press, 2021

(36) Philip Pomper, "The History and Theory of Empires", History and Theory, Vol. 44, No. 4, Theme Issue 44: Theorizing Empire (Dec., 2005), pp. 1-27

(37) Wallace K. Ferguson, "The Interpretation of the Renaissance: Suggestions for a Synthesis", Journal of the History of Ideas, Vol. 12, No. 4 (Oct., 1951), pp. 483-495

(٣٨) إريك وولف، **أوروبا ومن لا تاريخ لهم**، مرجع مذكور، ص.٥٤٣- ٥٤٤

(٣٩) نفس المرجع، ص.٥٤٦

(40) Abraham Maslow, "A theory of human motivation", Psychological Review, 50(4), 1943, pp.370–396

(٤١) أبو بكر الطرطوشي، **سراج الملوك**، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط.١، القاهرة، ١٩٩٤

(٤٢) أبي القاسم رضوان المالقي، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤

(٤٣) أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانيّة**، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٩٨٩

(٤٤) خلدون حسن النقيب، **الدولة التسلطيّة في المشرق العربي المعاصر: دراسة بنائيّة مقارنة**، **مركز دراسات الوحدة العربية**، بيروت، ١٩٩١.

(٤٥) غسّان سلامة، المجتمع والدولة في المشرق العربي، **مركز دراسات الوحدة العربية**، بيروت، ١٩٨٧

(46) Shinji Nohara, "Adam Smith on the cyclicity of the rise and fall of civilization", The Kyoto Economic Review, Vol. 79, No. 1 (166) (June 2010), pp. 77-89

(٤٧) **الحضارات في السياسة العالمية**، مرجع مذكور، ص. ٥٠

(48) Lewis A. Coser, "Social Conflict and the Theory of Social Change", The British Journal of Sociology, Vol. 8, No. 3 (Sep., 1957), pp. 197-207

(٤٩) فرانسيس فوكوياما، **الثقة: الفضائل الاجتماعيّة وتحقيق الازدهار**، مركز الإمارات والبحوث لاستراتيجيّة، أبو ظبي، ١٩٩٩

(٥٠) جاك دريدا، **الصّفح، مالا يقبل الصفح وما لا يتقادم**، ترجمة: مصطفى العارف/ عبد الرّحيم نور الدّين، منشورات المتوسّط، ميلانو، ٢٠١٨

(٥١) بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، طرابلس، ٢٠٠٩، ص.٦٦١-٧٢٩

(٥٢) دانيال زيبلات/ستيفين ليفيتسكي، **كيف تموت الديمقراطيات؟ ما يخبرنا به التاريخ عن مستقبلنا**، ترجمة: رعد زامل، سطور، العراق، ٢٠٢٠.

(٥٣) ميريام ريفولت دالون، **سلطان البدايات: بحث في السلطة**، ترجمة: سايد مطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢، ص.٤٤

(٥٤) كافين رايلي، **الغرب والعالم: تاريخ الحضارة من خلال موضوعات**، ترجمة: عبد الوهاب محمد المسيري/ هدى عبد السميع حجازي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٩٠+ ٩٧، ١٩٨٥- ١٩٨٦ (٢ أجزاء).

(٥٥) افريت. م. روجرز، **الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر**، ترجمة: سامي ناشد، عام الكتب، القاهرة، د.ت، ص.٢٤

(٥٦) أجنر فوج، **الانتخاب الثقافي**، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٥

(٥٧) أميا كومار باغتشي، **العبور الخطر: الجنس البشري والصعود العالمي لرأس المال**، ترجمة: عمر سليم التلّ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٩، ص.٥٠-٥١

(٥٨) نفس المرجع، ص.٨٣

(٥٩) جوزيف أ. تاينتر، **انهيار المجتمعات المعقّدة**، ترجمة: أمير عثمان، نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠٢٣

(٦٠) ألبان ج. ويدجري، **التاريخ وكيف يفسّرونه: من كنفشيوس إلى توينبي**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، الجزء ١، ص.١١٧

(61) Job Flores-Fernández, Francisco José Martínez-López, «Ukraine War and Historical War Cycles: Was It to Be Expected? Exploring The Futures of The War In Ukraine Through Historical War Cycles», Journal of Futures Studies, Vol. 28 No. 1, September 2023

(٦٢) هيرفريد مونكلر، **الامبراطوريات: منطق الهيمنة العالمية من روما القديمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية**، ترجمة: عدنان عباس علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٨، ص.١٣١

(٦٣) نفس المرجع، ص.١٤٩

(٦٤) إريك وولف، **أوروبا ومن لا تاريخ لهم**، مرجع مذكور، ص. ٥١٦.

(٦٥) جارد دايموند، **الانهيار: كيف تحقّ المجتمعات الإخفاق والنجاح؟**، ترجمة: مروان سعد الدّين، العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٩، ص.١٩-٤٥

(٦٦) نفس المرجع

(٦٧) جارد دايموند، **أسلحة، جراثيم، وفولاذ: مصائر المجتمعات البشرية**، ترجمة: مازن حمّاد، الأهليّة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧

(٦٨) أسوالد اشبلنغر، **تدهور الحضارة الغربيّة**، ترجمة: أحمد الشيباني، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ٢ أجزاء، الجزء الثاني، ص.٧٦٦- ٧٧١

(69) Karl W. Butzer, "Collapse, environment, and society", Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America, Vol. 109, No. 10 (March 6, 2012), pp. 3632-3639

(٧٠) إريك إتش كلاين، **١١٧٧ ق.م: عام انهيار الحضارة**، ترجمة: محمد حامد درويش، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠٢٠، ص.٢١٢

(71) James MacDonald, "Why Civilizations End", 2018 (https://daily.jstor.org/why-civilizations-end/). (13-10-2023. 1:15 AM)

(72) Niall Ferguson, "Complexity and Collapse: Empires on the Edge of Chaos", Foreign Affairs, Vol. 89, No. 2 (March/April 2010), pp. 18-32

(73) Gordon R. Willey and Demitri B. Shimkin, "The Collapse of Classic Maya Civilization in the Southern Lowlands: A Symposium Summary Statement", Southwestern Journal of Anthropology, Vol. 27, No. 1 (Spring, 1971), pp. 1-18

(74) Daniel Kendie, "The Causes of the Failure of the Present Regime in Ethiopia", International Journal of Ethiopian Studies, Vol. 1, No. 1 (Summer/Fall 2003), pp. 177-213

(75) Robert I. Rotberg (edited),When States Fail: Causes and Consequences, Princeton University Press, 2004

(76) Kenneth B. Taylor, "The passing of western civilization", Futures, 23 May 2020, p.1- 9 (https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC7245304/) (11:24 AM)

(77) Malcolm H. Wiener, The Collapse of Civilizations, Harvard Kennedy School: Belfer Center for Science and International Affairs, USA, 2018

(78) Patrick O'Sullivan, "The `collapse' of civilizations: what palaeoenvironmental reconstruction cannot tell us, but anthropology can", Sage journals, Volume 18, Issue 1 (https://doi.org/10.1177/0959683607085595) (11:47 AM)

(79) McMahon, Martin, Preventing the Collapse: A Study of Civilizational Decline, A Thesis Submitted to Fulfill the

Requirements of the Honors Program at Assumption University, Faculty Supervisor: Jeremy Geddert, Ph.D, Spring 2022

(80) Joël Schmidt, Le Déclin de l'Empire romain, Presses Universitaires de France, Collection : Que sais-je ? Paris,, 2018, pp.113- 123

(٨١) بارينجتون مور، **الأصول الاجتماعيّة للدكتاتوريّة والديمقراطيّة**، ترجمة: أحمد محمود، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨، ص.٢٩

(٨٢) كولن ولسون، **سقوط الحضارة**، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٢، ص.٣٩٥-٣٩٩

(٨٣) بول هازار، **أزمة الوعي الأوروبي: ١٦٨٠- ١٧١٥**، ترجمة: يوسف عاصي، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩، ص.٥٣٩-٥٥٤

(٨٤) إدموند هوسرل، **أزمة العلوم الأوروبيّة والفنومينولوجيا الترنسندنتاليّة**، ترجمة: إسماعيل المصدّق، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨، ص.٣٩- ٦١.

(85) David H. Good and Rafael Reuveny, "On the Collapse of Historical Civilizations", American Journal of Agricultural Economics, Vol. 91, No. 4 (Nov., 2009), pp. 863-879

(86) Arnold J. Toynbee, A Study of History, Oxford University Press, 1934- 1961

(٨٧) نزيه ن. الأيّوبي، **تضخيم الدولة العربيّة: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط**، ترجمة: أمجد حسين، المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت، ٢٠١٠، ص.٨٧٥- ٨٩٧

(٨٨) **الحضارات في السياسة العالمية**، مرجع مذكور، ص.٣٨

(٨٩) نفس المرجع، ص.٣٩